سيميائية اللون في الشعر الأندلسي
شعر المعتمد بن عباد(ت488هـ) أنموذجا-

آمنة بن منصور*

ملخص باللغة العربية:

نحن نعلم أن اللون هو واحد من أهم علامات النص الشعري ، وقد حظي اللون باهتمام العرب،فجعلوا لكل لون دلالة خاصة،بل إن بعض الألوان مشحونة بمعان متناقضة،فأي الدلالات تلك ضمتها أشعار المعتمد بن عباد؟

الكلمات المفتاحيةّ:

اللون ، الشعرية ، السيميائية ، الأندلس

Résumé en français:

Nous savons que la couleur est l'un des signes les plus importants du texte poétique, et les Arabes se sont toujours souciés de la couleur et de ses significations avec un grand intérêt, de sorte que chaque couleur a une signification particulière. Quels signes sont inclus dans les poèmes d'Ibn Abad?

Les mots clés:

* باحثة أكاديمية- المركز الجامعي عين تموشنت- الجزائر.

Couleur, poétique, sémiotique, Andalousie.

تمهيد

لا يخفى علينا أن اللون من أهم العلامات المشكلة للنص الشعري،وقد اهتمت العرب قديما باللون ومدلولاته أيما اهتمام،فجعلت لكل لون مدلولا خاصا،بل إننا أحيانا نقف على لون واحد يحمل دلالات متناقضة تمليها نفسية المتكلم،وإلى جانب هذا فقد اشتقت من اللون الواحد ألوانا أو صفات ثانوية تدل على اللون الأساس قلة أو كثرة،وكذلك وردت الألوان بمدلولاتها المختلفة في القرآن الكريم،فيقينا أن اللون جزء لا يتجزأ من حياة البشر،ومؤكد أن لكل لون أثره في نفسية المرء سلبا وإيجابا.

وأما حديثنا فسيكون عن الأثر الذي تركته الألوان،والعلامات التي دلت عليها في شعر المعتمد بن عباد،إذا ما علمنا أن حياته كانت مزيجا من الألوان،أو على الأصح قد عاش حياة ملونة،ثم انقلب إلى حياة لا لون لها.

السيميائية واللون:مفاهيم ومصطلحات:

جرت العادة أن يشير الباحث ،بدءا،إلى المفهوم اللغوي والاصطلاحي للكلمات التي تؤسس لمشكلة البحث،وهي السيميائية واللون على الترتيب.

مفهوم السيميائية:

إن مصطلح السيمياء بالمعنى اللغوي المقابل للعلامات،معروف عند العرب ،قديما،يشهد بذلك قوله تعالى :"ومنه شجر فيه تسيمون"[1] ،وقد قال المفسرون :السيماء والسيمياء :العلامة[2] . وقال الشاعر :

غلام رماه الله بالحسن يافعا *** له سيمياء لا تشق على البصر.

كأن الثريا علقت فوق نحره *** وفي جيده الشعرى وفي وجهه القمر

هذا للمد أما القصر فمنه قول الشاعر:

ولهم سيما إذا تبصرهم *** بينت ريبة من كان قد سأل[3]

ولهذه الكلمة حضور في القرآن الكريم،في قوله تعالى: ((**وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ**))[4]،**وفي قوله تعالى أيضا: ((يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ))[5]،أي بالعلامات التي تظهر عليهم.**

ولابن سينا مخطوطة عنوانها :كتاب الدر النظيم في أحوال علوم التعليم ،ورد فيها فصل تحت عنوان :علم السيمياء يقول فيه:"علم السيمياء يقصد فيه كيفية تمزيج القوى التي هي جواهر العالم الأرضي ليحدث لها قوة يصدر عنها فعل غريب ،وهو أيضا أنواع فمنه ما هو مرتب على الحيل الروحانية والآلات المصنوعة على ضرورة عدم الخلاء ومنها ما هو مرتب على خفة اليد وسرعة الحركة ،والأول من هذه الأنواع هو السيمياء بالحقيقة والثاني من فروع الهندسة ..."[6].

وللإشارة فقد ذهب بعض الدارسين إلى أن جذر لفظة (سيمياء)جذر لغوي مشترك بين معظم اللغات السامية،ودليلهم في هذا أن أصوات هذا الجذر ومكوناته الدلالية متقاربة و متشابهة إلى حد كبير[7].

أما حديثا،فيعرفها(بيارغيرو) بأنها :" العلم الذي يهتم بدراسة أنظمة العلامات : اللغات ، وأنظمة والإشارات والتعليمات ..."[8]،ويعرفها (فيردناند دي سوسير)قائلا:"أنها العلم الذي يدرس حياة العلامات من داخل الحياة الاجتماعية ونستطيع –إذن –أن نتصور علما يدرس حياة الرموز والدلالات المتداولة في الوسط المجتمعي ،وهذا العلم يشكل جزءا من علم النفس العام ..وهو علم يفيدنا موضوعه الجهة التي تقتنص بها الدلالات والمعاني.. وقد تحدد موضوعه بصفة قبلية ،وليس علم اللسان إلا جزء من هذا العلم العام وسيبيّن لنا هذا العلم ما هو مضمون الإشارات ،وأي قوانين تتحكم فيها[9] .."

وقد عمد بعض الدارسين إلى ترجمة المصطلح باعتباره غربي الظهور،رغم أن له أرضية قديمة،فقالو:

علم العلامات،علم الأدلة،علم الرموزية أو الدلائية[10].

وعلى العموم فإن مصطلح السيمياء مصطلح معقد ومتشعب ولهذا وجد الدارسون صعوبة في إعطاء مفهوم دقيق له،ونحن نكتفي بما ذكرناه آنفا حتى لا نضيع في زخم التعريفات.

اللون:

اللون في اللغة هو"الهيئة كالسواد والحمرة..ولون كل شيء :ما فصل بينه وبين غيره،والجمع ألوان"[11].

أما اصطلاحا فيقصد به التأثير الفيسيولوجي الناتج على شبكة العين،سواء أكان هذا اللون مادة صباغية،أم ضوءا ملونا"[12].

وعموما ،فإن اللغة في الغالب توظف لفظ اللون توظيفا مجازيا،عن طريق المعاني الرمزية أو الإيحائية للألوان،فلا يفهم معناها بمجرد فهم مفرداتها،ذلك أنها تصبح تركيبا موحدا ذا معنى خاص[13].

سيميائية الألوان:

ويقصد بها "إدخال شعور من نمط آخر إلى النفس وعالم الحس،الذي يتأثر ويستجيب لما تراه العين،أو يقع في القلب،فكل لون يعني لنفس معينة معنى جديدا غير مستقر في بقية أنفس البشر الآخرين"[14].

وانطلاقا من هذه التعريفات يتضح جليا موضوعنا وهو تتبع أثر اللون والعلامات التي يتركها في نفس المتلقي ،وقبل ذلك دلالته عند المرسل.

اللون في القرآن الكريم:

ليس من شك في أن اللون جزء لا يتجزأ من حياة البشر،فحيثما ولى المرء وجهه وجد لونا ما،ولهذا ذكرت الألوان في الذكر الحكيم بصيغها ودلالاتها المختلفة،لتقريب الصورة إلى الناس وتجسيدها لهم،فإذا كان المراد الرحمة والنعيم كان اللون الأبيض أحسن ما يعبر عن ذلك ،يقول تعالى:((وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ))[15]،وكذلك اللون الأخضر دل على الجنة ونعيمها في قوله تعالى:((أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا))[16]،كما دل اللون الأسود في الآي الكريم على العذاب والحزن وسوء العاقبة،يقول تعالى:((فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ))[17]،ويقول أيضا: ((إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ))[18]،وينبغي أن نشير هنا إلى أن بعض الألوان قد تتغير مدلولاتها في القرآن الكريم فالأبيض مثلا دل في مواضع على الحزن كما في قوله تعالى:((وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ))[19]،فيعقوب عليه السلام ظل يبكي على فقد يوسف حتى ابيضت عيناه،فالبياض هنا دل على الحزن الشديد والعمى.

كما ورد ذكر اللون الأصفر في القرآن الكريم بمعنيين متضادين،ففي قوله تعالى:((قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ))[20]،اللون الأصفر هنا ورد بمعنى يسر النفس ويبهجها، ولكنه في آية أخرى يدل على النقيض من ذلك،يقول تعالى: ((وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ))[21]،فالصفرة هنا دليل على الفساد والذبول والتلف.

اللون عند العرب:

وظف العرب اللون بتدرجاته في كلامهم ونظمهم ،فاللون جزء لا يتجزأ من حياتهم اليومية،ومن ذلك قولهم:فلان أبيض وفلانة بيضاء،يريدون نقاء العرض من الدنس والعيوب والنقائص،كما وصفوا المجنون بقولهم:إنه لفي صفرة..[22].

وكان للألوان حضور قوي وفاعل في الشعر العربي،على اختلاف أغراضه،إذ لا يخفى علينا ما يحمله اللون من حمولة ورمزية يفيد منها الشاعر في صياغة صورته الشعرية،"فاختيار الرمز في الصورة الشعرية لا ينفصل عادة عن سائر أفكار القصيدة[23]،كما أن"اللون لا يدخل في نسيج النص الشعري على مستوى التركيب فقط،وإنما يتعدى ذلك إلى مستوى الدلالة أيضا"[24]،ومن جملة الأشعار التي ذكر فيها الشعراء الألوان قول امرئ القيس:

وفرْع يَزينُ المتنُ أسودَ فاحمٍ *** أثيْثٌ كقِنوِ النخلة المُتعَثكِلِ[25]

واضح من البيت الشعري أن امرئ القيس أعطى للون الأسود بعد جماليا تفاؤليا،فهو لون شعر الحبيبة، وهو دليل على قوة الشباب وعنفوانه،وفي السياق ذاته عبر عبيد بن الأبرص قائلا:

دَرْدَرَ الشباب والشعر الأسود*** والضّامرات تحت الرّجال[26]

وذكر الشاعر العربي اللون الأحمر، فمرة هو رمز الجمال إذا كان في الخد،ومرة هو رمز البطش والقتل إذا كان في الحرب، قال عنترة:

هزمتُ تميما ثم جندلتُ كبشهم *** وعدتُ وسيفي من دم القوم أحمرُ[17]

وجمع ابن الرومي بين الأحمر و الأصفر فقال:

ألّحَ عليه النّزفُ حتى أحالَه *** إلى صُفرة الجادي عن حُمرة الوردِ[28]

كما كان للون الأزرق حضور أيضا في الشعر العربي،يقول اليشكري:

لقد زرُقتْ عيناك يا ابن مُكعبَر*** كما كلّ ضبي من اللؤم أزرَقُ[29]

وعموما فقد حفل الشعر العربي منذ وجد بذكر الألوان التي تعددت مدلولاتها وإيحاءاتها،فعبرت عن نفسية الشاعر وصورت نظرته إلى الحياة المليئة بالمتناقضات.

وكما رأينا فإن اللون سواء في القرآن الكريم أو في الشعر العربي يحمل دلالات مختلفة،فهو لا يقف عند معنى واحد لا يتجاوزه،بل إن السياق والنفسية هي التي تحدد رمزية اللون.

اللون في الشعر الأندلسي:

حبا الله بلاد الأندلس بجمال يندر وجوده في غيرها،وليس غريبا، والحال تلك،أن يبالغ الأدباء في وصفها و تفضيلها على بقاع الأرض جميعا،يقول المقري:" محاسن الأندلس لا تستوفى بعبارة،ومجاري فضلها لا يشق غباره وأنى تجارى وهي الحائزة قصب السبق في أقطار الغرب والشرق "[30]،ولا نعجب إذا رأينا من يختصر مدن العالم كلها في الأندلس فهي" شامية في طيبها وهوائها،يمانية في اعتدالها واستوائها،هندية في عطرها وذكائها،أهوازية في عظم جبايتها،صينية في جواهر معادنها..فيها آثار عظيمة لليونانيين أهل الحكمة وحاملي الفلسفة "[31].

أما الشعراء فقد أفاضوا في تفضيل الأندلس على سائر البقاع،فهذا ابن خفاجة لا يرى الجنة إلا فيها، يقول :

يا أهلَ أندلسٍ للّهِ دَرّكُمُ **ماءٌ و ظلٌّ و أنهارٌ و أشجَارُ

ما جَنّة الخُلْد إلا في دِيارِكُم** و هَذه كُنتُ لوْ خُيّرتُ أخْتار[32]

ويذهب ابن سفر المريي(*)إلى أبعد من ذلك،فالأندلس وحدها الرياض وما سواها صحراء جدباء،يقول:

فيها خَلعْتُ عذارِي ما بها عِوض ** فهي الرّياضُ و كلّ الأرضِ صَحْراء[33]

إن الشاعر الأندلسي متشبع"بإحساسات لونية معينة استمدها من تلك البيئة الجميلة،مما يجعله يقوم بعملية تكثيف لتلك الألوان،وذلك في إطار لوحة فنية رائعة"[34]،فاللون"رافق الوصف منذ بروزه عند شعراء الأندلس،فهو صنوه ورديفه بل وسيلته الوحيدة في نقل المشاهدات ونقل المعنويات"[35].

هكذا إذا كانت حال الأندلسيين الذين شغفوا بها،وحق لهم ذلك،فالألوان جميعها تجلت في الطبيعة الأندلسية،وامتثلت أمام ناظريهم، ،ولعلنا نمثل في هذا الباب بشاعر الطبيعة ابن خفاجة الذي وظف الألوان بشكل لافت وبدلالتها المختلفة والمتعددة،يقول:

والرّوضُ وجهٌ أصفرٌ والظلُّ فرْ*** عٌ أسودٌ والماء ثغرٌ أشنبُ[36]

في هذه البيت يخلع الشاعر صفات المرأة على الطبيعة،مستعينا بجملة من الألوان التي رسم بها لوحة فنية رائعة .

ومع هذا فلم يقف توظيف الألوان عند شعراء الأندلس في حدود الطبيعة وحسب،ذلك أنهم وظفوا اللون للدلالة على مكنوناتهم وما يجول في أنفسهم من خواطر،وكانت الدلالة النفسية وانعكاساتها الأكثر استخداما وتداولا[37]،فاللون الأبيض مثلا تتغير دلالاته النفسية عند الشاعر الأندلسي،فمرة يدل على الحزن والشيب وقرب الأجل، كما في قول ملك بلنسية مروان بن عبد العزيز:

ولما رأيتُ الشيبَ أيقنتُ أنهُ *** نذيرٌ لجسْمي بانهدامِ بنائهِ

إذا ابيضّ مخضرُّ النّبات فإنّهُ *** دليلٌ على استحصادِه وفنائِه[38]

ومرة أخرى يدل على الكرم و الجود كما في قول الوزير أبي جعفر بن الوضاح:

وافتكَ سَابقةُ الثناءِ على الذي *** تُوليه مِن تلك اليَد البيضَاء[39]

ولعلنا نكتفي بهذا تمثيلا لا حصرا،فالشاعر الأندلسي أبدع في اللعب بالألوان التي حملها كل ما جاشت به نفسه من مشاعر وأحاسيس وتناقضات..

اللون في شعر المعتمد بن عباد[**] :

انشغل ملوك الطوائف في جمع الشعراء من حولهم،وجعلهم في مقدمة بلاطهم،وكان في طليعتهم آل عباد الذين قدموا"مثلا واضحا جدا للدور الذي يمكن أن تقوم به أسرة أرستقراطية في الحياة الأدبية"[40] ،والمعتمد بن عباد،سليل هذه الأسرة الشاعرة،عاش حياة متقلبة،بين العيش الرغد وقسوة القيد،وقد انعكس ذلك كله على شعره ،فحياة الملك والترف قادته للنظم في أغراض الفخر والغزل والوصف،أما أيام الشقاء والأسر فأملت عليه شعرا حزينا مؤثرا،يقول أحمد أمين:"فإذا رأيت غزلا هادئا وحبا صادقا فذلك في الفترة الأولى..وإذا رأيت في شعره فخرا وشمما مملوءا حماسة..فذلك في الفترة الثانية،وإذا رأيت بكاء على الماضي ومقارنة بين ماض زاهر وحاضر بائس فاعلم أن هذا ظل الفترة الثالثة"[41***] .

والمعتمد بن عباد كغيره من الشعراء وظف الألوان في شعره أيام سعوده وشقائه،وتوظيفه ذاك لم يكن عبثا وإنما انعكاسا للحالة النفسية التي كانت تعتريه،فاللون عنده ليس مجرد كلمة استعان بها ليستقيم التركيب أو الوزن،بل هو علامة و إشارة أراد من خلالها أن يبث أحزانه وأشواقه وآلامه..والملاحظ أن المعتمد اعتمد الألوان الأساسية عند العرب فقط وهي:"الأبيض والأسود والأحمر والأصفر والأخضر"[42] .

اللون الأبيض:

يدل اللون الأبيض كما ورد في لسان العرب على الحسن والجمال والشرف والنقاء[43] ،وهذه هي المعاني الأصلية للون الأبيض،ومع ذلك فقد يوظف الشاعر هذا اللون للدلالة على الحزن والتقدم في العمر،فدلالة اللون ليست ثابتة عند الشاعر بل هو يغيرها ويحورها كيفما شاء،وفي

كل مرة يقنعنا بما أراد،وكأننا باللون يحمل المعنى ونقيضه،على أن شاعرنا وظف هذا اللون في معان واحدة لا تتعداها وهي المعاني نفسها التي ذكرها لسان العرب،يقول متغزلا:

منازلُ آسَادٍ وبِيضٌ نواعمٌ ***فناهيكَ مِن غيلٍ،وناهيكَ من خِدر

وبِيضٌ وسُمرٌ فاعلاتٌ بمُهْجتي *** فِعَال الصَّفائحِ البيضِ والأسل الأسْمر[44]

قديما كانت العرب تفضل المرأة البيضاء ،فالأبيض علامة الحسن والجمال في المنظور العربي،بيد أن المعتمد عطف على البياض باللون الأسمر ،وما زاد الصورة جمالا تشبيه البيضاء بالسيف الأبيض في بريقه ولمعانه ،والسمراء بالرمح،وكلاهما ملكا قلب الشاعر.

ويذكر اللون الأبيض في موضع آخر،وبمعنى مغاير فيقول:

خطبتُ قرطبةَ الحَسناء إذ منعتْ *** من جَاء يَخطبُها بالبِيض و الأسلِ[45]

والبِيض هنا اسم للسيف،ولكن للسيف أسماء كثيرة إلا أن هذا أشهرها،وشاعرنا لا يكاد يذكر السيف إلا بهذا الوصف خاصة إذا كان مقرونا بالغزل على سبيل الحقيقة أو المجاز كما في الأبيات المذكورة.

اللون الأخضر:

يدل اللون الأخضر في لسان العرب على معان متناقضة،فكما يدل على الخصوبة والصفاء،يدل أيضا على السوء والمرض[46]،أما المعتمد بن عباد فذكر اللون الأخضر في موضع واحد مقرونا باللون الأبيض،فقال متغزلا:

أخضرٌ في أبيضَ تبدّى ***ذلكَ آسِي،وذا بَهَار[47]

يريد الشاعر بالأخضر الآس وبالأبيض البهار،وحقيقة زهر الآس أبيض اللون ولكنه دائم الخضرة ولهذا ألصق الشاعر به هذا اللون،ولعل الشاعر يلمح إلى أن المرأة التي يتغزل بها بيضاء البشرة،وذات عيون خضراء براقة،وكما أسلفنا الذكر لا يذكر الشاعر البياض إلا في موضع الغزل.

اللون الأصفر:

لا تخرج دلالة اللون الأصفر في لسان العرب وغيره عن الذبول والجوع والجنون والمرض[48] ،وكذلك وردت هذه المعاني في شعر المعتمد،ومن ذلك قوله يشكو بعد اعتماد حظيته:

لونٌ كسَتهُ صُفرةٌ ومَدامِعٌ *** هَطلتْ سَحائبُها و جسْم ناحِلٌ[49]

فاللون الأصفر هنا دل على تغير الوجه وشحوبه جراء بعد الأحبة وغيابهم،ويذكر في موضع آخر اللون الأصفر تلميحا لا تصريحا،يقول في الاعتذار لوالده:

وحلتُ لونًا و ما بالجْسم من سَقم *** وشبتُ رأسًا ولم يَبلُغنِي الكِبر[50]

يشكو الشاعر كيف أن جسمه كسته صفرة الهم لا السقم،وكيف استحال لونه من النظارة إلى الشحوب والاصفرار ،فلا هو بالعليل الذي يرجى شفاؤه،ولا هو بالسليم فيهنأ باله،إلا أن يرضى المعتضد والده، والصفح الجميل منه يناله،وقال يشكو جفاء الحبيب :

والدّمْعُ جارٍ قطرُه وابلٌ ***والجسْمُ بالٍ ثوبُه أصْفر[51]

فالأصفر هنا دل أيضا على تبعات المرض والهم والبعد.

اللون الأحمر:

دل اللون الأحمر في لسان العرب على معاني القتل والدم والشدة والمرض[52]،وهو لا يكاد يخرج عن هذه الدلالات في استعمالات الشعراء،وكذلك فعل المعتمد بن عباد،يقول راثيا نفسه:

بالطاعِنِ الضّاربِ الرّامي إذا اقتتلُوا*** بالموتِ أحْمر بالضّرغامة العَادي[53]

إن الموت في ساحة الوغى لا يليق به ولا يعبر عنه غير اللون الأحمر؛لون الدماء وهي تسيل لترسم لوحة من الحزن والألم..

وفي موضع آخر يوظف الشاعر اللون الأحمر للدلالة على الأوجاع التي يكابدها لفراق ووداع أحبته،فهو يبكي بدل الدموع دما،يقول:

بَكيْنا دمًا حتى كأنّ عُيوننا *** لِجَري الدُّمُوعِ الحُمرِ مِنها جِراحَات[54]

فاللون الأحمر دل هنا على الحزن الشديد،وعدم الصبر.

ولكن الشاعر أحيانا يذكر الأحمر بتدرجاته أو لنقل يعبر عنه بالوردي،والوردي كما نعلم لون الخدود ولون الصحة والجمال،يقول متغزلا:

خُذ باسْمِها مِنْ رِيقِها خَمْرة*** في لوْنِ خدّيْها تجَلّى الأسَى[55]

وفي موضع آخر يزاوج بين ذكر الحرب والحب،وبين معجم الغزل ومعجم القتل،يقول مادحا يوسف ابن تاشفين:

تُريكَ الرّمَاحُ القدُودَ انثناءً***وتَجلُو الصّفائِحُ الخُدُودَ احْمِرارا[56]

يصور الشاعر مشهدا من مشاهد معركة الزلاقة التي خاضها يوسف ابن تاشفين وأبلى فيها،ويبدو أن المعتمد يحسن الرسم كما يحسن الشعر،وإلا كيف نسمي تشبيه القتلى وهم يتساقطون أرضا بفعل الرماح بانثناء القد عند امرأة وهي تتمايل؟وكيف صير الخدود مضرجة

بالدماء فكأنها احمرت من الخجل كما تفعل النساء؟هكذا تلاعب الشاعر بالألوان والألفاظ ليعطي شعره بعدا دلاليا ورمزيا .

اللون الأسود:

ارتبط اللون الأسود في المخلية العربية بالحزن والتشاؤم عموما،فغراب البين أسود،وظلمة الليل وسواده يبعثان الضيق في النفس،ولا يكاد يخرج معنى السواد في آي القرآن الكريم عن هذا أيضا،قال تعالى:" يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ"[57]،فأهل النار تسود وجوههم من الحزن على ما فات و من الهول على ما هو آت.

ومع ذلك فقد ذكر الأسود في بعض المواضع على وجه التحبيب،خاصة في باب الغزل،فالسواد في العيون والشعر من علامات الجمال المحببة عند العرب،بل إنهم مدحوا أيضا ما يشتق من السواد و هو السمرة في مواضع كثيرة،والأسود عند المعتمد بن عباد لا يخرج في مدلولالته عما سبق الذكر،فهو رمز الجمال في قوله:

فترفق بمدنف أنت منه *** في سواد القلوب و الحدقات[58]

وسواد القلوب هنا سويداء القلب أي عمقه ومهجته،وكذلك سواد الحدقات.

ولعل اللون الأسود هو أكثر لون يعبر عن تحول حياة المعتمد بن عباد من النقيض إلى النقيض،من النعيم إلى البؤس،من الحرية إلى القيد،يقول:

أما سمعت بسلطان شبيهك قد ***بزته سود خطوب الدهر سلطانا[59]

ويقول أيضا:

تؤمل للنفس الشجبة فرجة ***وتأبى الخطوب السود إلا تماديا[60]

وكأن المعتمد يريد الإمعان في تصوير مأساته ،فلا يكفي أن يذكر الخطب وحده بل يجعل السواد رفيقا له،فالألم مضاعف ،والمصيبة مصابتان.

إن المميز في توظيف شاعرنا للألوان أنه

هوامش البحث:

1-سورة النحل الآية 10.

2-الراغب الأصفهاني ، مفردات غريب القرآن ،تح: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ،ط1991،1،ص 251

3-ابن منظور ، لسان العرب مادة (سوم)،دار صادر،بيروت.

4-سورة محمد:الآية:30.

5-سورة الرحمن:الآية:41.

6-ينظر تقديم عز الدين مناصرة لكتاب ، ميشال أريفيه جان لكود جيرو : السيميائية أصولها وقواعدها،ترجمة:
رشيد بن مالك،مراجعة وتقديم عز الدين المناصرة،منشورات الاختلاف ،الجزائر،2003،ص23

7-بلقاسم دفة:علم السيمياء والعنوان في النص الأدبي،محاضرات الملتقى الوطني الأول،جامعة محمد خيضر،بسكرة،2000،ص33.

8-بيير غيرور:السيمياء ترجمة : أنطون أبن زيد ط 1 ، 1984م ، منشورات عويدات ، بيروت لبنان ص 50.

9- فيردناند دي سوسير ، محاضرات في علم اللسان العام ، ترجمة عبد القادر قنيني ط 1 ، 1987م ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء،ص 88.

10-سعيد بن كراد:السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها،منشورات الزمن مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء، ط2003،1 ،ص31.

11-ابن منظور:مادة (لون).

12- إبراهيم محمد علي :اللون في الشعر العربي قبل الإسلام،لبنان،ط2001،1،ص19.

12- أحمد مختار عمر:اللغة واللون ،عالم الكتب،مصر،ط1،ص78.

14-ينظر: ظاهر الزواهرة :اللون ودلالته في الشعر،دار حامد،عمان،ط1،ص15

15-سورة آل عمران:الآية:106.

16-سورة الكهف:الآية:31.

17-سورة آل عمران:106.

18-سورة النحل:الآية:58.

19-سورة يوسف:الآية:84.

20-سورة البقرة:الآية:69.

21-سورة الروم:الآية:51.

22-ينظر:ابن منظور لسان العرب:مادتي(بيض،صفر).

23- عز الدين إسماعيل :التفسير النفسي للأدب،مكتبة غريب،ط4،ص67.

24- موسى ربابعة :جماليات اللون في شعر زهير بن أبي سلمى ،بحث في كتاب قطوف دانية لمجموعة من الكتاب ،المؤسسة العربية،بيروت،ط1336،1998،2

25-الزوزني:شرح المعلقات السبع،المكتبة العصرية،بيروت،32،2003

26-عبيد بن الأبرص:الديوان،دار صادر،بيروت،1998،ص97

27-عنترة العبسي:الديوان،دار الكتب العلمية،بيروت،1995،ص79.

28-ابن الرومي:الديوان،شرح:أحمد حسن بسج،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1994،1،ص400.

29-اليشكري سويد بن أبي كاهل:الديوان،تح:شاكر العاشور،دار الينابيع،دمشق،ط2007،1ص57.

30- المقري أحمد بن محمد:نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،شرح وضبط :مريم قاسم الطويل،يوسف علي الطويل دار الكتب العلمية،لبنان،ط1، 1995 :1،ص127.

31-نفسه: 1 : 129

32- ابن خفاجة: الديوان، تح : سيد غازي،منشأة المعارف،ط2،الإسكندرية ، 364

*- المريي : نسبة إلى مسقط رأسه المرية .

33- المقري:نفح الطيب : 1 : 202

34-عبير فايز حمادة الكوسا:اللون في الشعر الأندلسي،رسالة ماجستير،جامعة البعث،سوريا،2007،ص50

35-زاهر بن بدر الغسيني:علاقة اللون بالصورة الشعرية في شعر ابن خفاجة الأندلسي،مجلة جامعة السلطان قابوس، عمان،العدد 20،2013،ص110.

36--ابن خفاجة:الديوان،ص300.

37-م ن:ص111.

38-المقري:نفح الطيب:3: 408.

39- الفتح بن خاقان:مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس،تح:محمد علي شوابكة،دار عمار،ط1،ص403.

**- هو محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل ..لخمي النسب ، ولد بمدينة باجة سنة 431هـ ، تولى حكم إشبيلية بعد وفاة أبيه المعتضد أحد ملوك الطوائف،أسره ابن تاشفين و توفي بأغمات نحو 488 هـ - ينظر :لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ،تح:محمد عبد الله عنان،مكتبة الناجي،القاهرة،ط1974،1: 2 : 108 وما تلاها.

40-صلاح خالص:إشبيلية في القرن الخامس الهجري،دار الثقافة،بيروت،1965:ص138.

41-أحمد أمين:ظهر الإسلام،دار الكتاب العربي،بيروت، ط5: 3: 177 وما بعدها.

***-الفترة الأولى والثانية فترة الشباب والملك،والفترة الثالثة فترة الأسر.

42-أبو عبد الله النمري:الملمع،تح:وجيهة أحمد السطل،مطبعة زيد بن ثابت،دمشق،ط1976،1،ص1.

43-ينظر:ابن منظور:لسان العرب،مادة بيض

44- المعتمد بن عباد:الديوان،تح:أحمد أحمد بدوي،حامد عبد المجيد،المطبعة الأميرية بالقاهرة،1951،ص20.

45-م ن:ص15

46-ينظر:ابن منظور: لسان العرب،مادة خضر.

47-الديوان:ص57

48-ينظر:ابن منظور:مادة صفر.

49-الديوان:ص18.

50-م ن:ص22.

51-م ن:ص56.

52-ينظر:ابن منظور:لسان العرب،مادة حمر.

53- الديوان:ص136.

54-م ن:ص43.

55-م ن:ص19

56-م ن:ص138

57-سورة آل عمران:الآية 106.

58-الديوان:ص43.

59-م ن:ص27.

60-م ن:ص157.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش.
- إبراهيم محمد علي :اللون في الشعر العربي قبل الإسلام،لبنان،ط1،2001.
- أبو عبد الله النمري:الملمع،تح:وجيهة أحمد السطل،مطبعة زيد بن ثابت،دمشق،ط1،1976.
- أحمد أمين:ظهر الإسلام،دار الكتاب العربي،بيروت، ط5.
- أحمد مختار عمر:اللغة واللون ،عالم الكتب،مصر،ط1.
- بلقاسم دفة:علم السيمياء والعنوان في النص الأدبي،محاضرات الملتقى الوطني الأول،جامعة محمد خيضر،بسكرة
- بيير غيرور:السيمياء ترجمة : أنطون أبن زيد ط 1 ، 1984م ، منشورات عويدات ، بيروت لبنان .
- ابن خفاجة: الديوان، تح : سيد غازي،منشأة المعارف،ط2،الإسكندرية .
- الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية-دمشق بيروت ط1
- الزوزني:شرح المعلقات السبع،المكتبة العصرية،بيروت،2003.
- زاهر بن بدر الغسيني:علاقة اللون بالصورة الشعرية في شعر ابن خفاجة الأندلسي،مجلة جامعة السلطان قابوس، عمان،العدد 20،2013.
- سعيد بن كراد:السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها،منشورات الزمن مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء، ط1،2003.
- صلاح خالص:إشبيلية في القرن الخامس الهجري،دار الثقافة،بيروت،1965.
- ظاهر الزواهرة :اللون ودلالته في الشعر،دار حامد،عمان،ط1
- عز الدين إسماعيل :التفسير النفسي للأدب،مكتبة غريب.
-عبيد بن الأبرص:الديوان،دار صادر،بيروت،1998.
-عبير فايز حمادة الكوسا:اللون في الشعر الأندلسي،رسالة ماجستير،جامعة البعث،سوريا،2007.

-عنترة العبسي: الديوان، دار الكتب العلمية،بيروت،1995.
- الفتح بن خاقان: مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تح: محمد علي شوابكة،دار عمار،ط1.
- فيردناند دي سوسير ، محاضرات في علم اللسان العام ، ترجمة عبد القادر قنيني ط 1 ، 1987م، أفريقيا الشرق - الدار البيضاء.
-لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ،تح:محمد عبد الله عنان،مكتبة الناجي،القاهرة، ط1974،1.
- المعتمد بن عباد: الديوان، تح:أحمد أحمد بدوي،حامد عبد المجيد،المطبعة الأميرية بالقاهرة،1951.
- المقري أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شرح وضبط : مريم قاسم الطويل، يوسف علي الطويل - دار الكتب العلمية، لبنان،ط1، 1995 .
- موسى ربابعة: جماليات اللون في شعر زهير بن أبي سلمى، بحث في كتاب قطوف دانية لمجموعة من الكتاب- المؤسسة العربية، بيروت، ط1998،2.
- ميشال أريفيه جان لكود جيرو: السيميائية أصولها وقواعدها، ترجمة: رشيد بن مالك، مراجعة وتقديم عز الدين المناصرة،منشورات الاختلاف ،الجزائر،2003.
-ابن الرومي:الديوان،شرح:أحمد حسن بسج،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1994،1.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر،بيروت.
- اليشكري سويد بن أبي كاهل: الديوان، تح: شاكر العاشور، دار الينابيع، دمشق، ط2007،1.